

التي ظهرت في شعر بعض الشعراء المولدين أو المحدثين ، كما كانوا يسمون آنذاك ، وعلى رأسهم بشار بن بُرد (٩٥ - ١٦٧ هـ) ، وأبو نُواس (ت ١٩٨ هـ) ، ومسلم بن الوليد (ت ٢٠٨ هـ) ، ثم أبو تمام (ت ٢٣١ هـ) الذي بلغ في ذلك الغاية . وقد شاع في الأوساط الأدبية في ذلك الحين أن هؤلاء الشعراء قد ابتدعوا في أشعارهم من الأساليب والصور ما لم يتأت مثله من قبل ، وما لم يسبقهم إليه أحد ؛ فحفز ذلك ابن المعتز إلى تأليف كتابه هذا ليرد على تلك الدعوى ، ويثبت أن تلك الأساليب والصور التي سميت باسم « البديع » لم يكونوا سابقين إليها ، وأن غيرهم من الشعراء المتقدمين قد راد الطريق قبلهم ، بل إنها جاءت في القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، وكلام الصحابة والأعراب .

ألف ابن المعتز كتاب « البديع » في أواخر الربع الثالث من القرن الثالث الهجري ، كما حدد ذلك بنفسه في الخاتمة إذ يقول : « وما جمع فنون البديع ، ولا سبقني إليه أحد ، وألفته سنة أربع وسبعين ومائتين » (١٣٠) . والذي يسترعى الانتباه أنه قسمه إلى مجموعتين ؛ المجموعة الأولى جاءت تحت اسم « البديع » ، وتناول فيها خمس صور هي : الاستعارة ، والتجيس ، والمطابقة ، ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها ، والمذهب الكلامي . وقد مضى في تناولها على النهج الذي ألحنا إليه ، وهو تعريف كل منها تعريفا مختصرا ، وإرداف هذا التعريف بعدد كبير من الأمثلة والشواهد لما هو مستحسن منها ، أو مستقبح معيب أيضا ، وجاء لكل الصور بشواهد من القرآن ، ما عدا المذهب الكلامي الذي نزه القرآن عن أن يوجد فيه . ومع قلة عدد هذه المجموعة فقد شغلت الحيز الأكبر من الكتاب ، على حين شغلت المجموعة الثانية وعددها ثلاث عشرة صورة حيزا أقل ، وأطلق عليها اسم « محاسن الكلام » ومنها : الالتفات ، والاعتراض ، وتأكيذ المدح بما يشبه الذم ، والتعريض والكناية ، والإفراط في الصفة ، وحسن التشبيه ، الخ .

ولا يبدو من كلام ابن المعتز الذي قدم به لهذه المجموعة الثانية أن لديه فرقا واضحا بين المجموعتين ، على أساسه خص المجموعة الأولى بكلمة « البديع » وسمى

(١٣٠) كتاب البديع (نشر المستشرق كراكشوفسكى . الطبعة الثالثة ، ١٩٨٢) ص ٣ .